

«المؤابي» رواية تخيل تاريخي عن ثورة العرب ضد العثمانيين

فهم انتكاسة الحاضر يمر عبر سرد الماضي وأحداثه



رحلة الثورة ضد القمع

العشب الذي تستطيع أن تجد نكهته صافية في حليبيها والبانها وزبدتها، لكل عشبة رائحتها ومذاقها الذي لا تحطه الأحاسيس المرهقة. تتكاثر الأغنام في فصل الشتاء ويحترق صوفها في أول الصيف، ويباع الفائض من الرؤوس للتجار في سوق الحلال، ويحترق منه للاكل وللمناسبات الاجتماعية. الدورة واضحة وبسيطة.

ويذكر أن المجالي حاصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية من الجامعة الأردنية، والمجستير في إدارة الأعمال من جامعة فورثامبتون البريطانية. وهو باحث في مجال التصوف والفلسفة، وأصدر قبل هذه الرواية كتاباً فلسفياً بعنوان «شياطين في حضرة الملكوت» يتناول قضايا الوجود ومفاهيم الزمن والخلود، وكتاب «نصوص عرفانية وفلسفية» وكتاب «أكام الحب والغضب»، وهو نصوص أيضاً.

في مثل هذه الساعة حين تدنو الشمس من كهف الغروب يعج الفضاء بالقطعان العائدة من مراعيها، يتقدم القطيع راع ويتخلف وراءه آخر، وتحف القطيع من الجانبين كلاب الحراسة. نمة موسيقى أيضاً، خليط من أشياء كثيرة: أجراس تقزع، وقلاب يشدّ بناحها، والخيل التي لا تتوقف عن الصهيل.

روايات التخيل التاريخي تشكل المادة التاريخية من خلال السرد بعد قطع تلك المادة عن وظيفتها التوثيقية والوصفية

ومن المشاهد الوصفية أيضاً يقول الكاتب «هذه الرحلة اليومية هي الشريان الذي يمد الناس هنا بالحياة. تنمو أجساد الأغنام فيتخللها أريج

لثورة «الهيئة»، التي قامت في الكرك ضد العثمانيين، يوصف في مرحلة من المراحل بأنه رجل داهية، وهو وإن أبدى تريفاً ظاهرياً في ذلك اليوم الذي اجتمع فيه النوار لتدارس الموقف، فقد كان في حقيقة الأمر يضع للمسات الأخيرة على خطته التي أرادت لتلك الثورة أن تقوم دون أي تأخير». وحين تضع الثورة أوزارها يرى البطل أن عليهم أن يهتموا بالحياة من الآن فصاعداً «فأنا موتا، مواجهة الحياة لا نقل شجاعة عن مواجهة الموت. لقد فقدت عشائراً كثيراً من شبانها وزهرة رجالها في صراعها مع هذا العالم الذي لا يرحم أحداً».

ويوجه ذلك ابنه فارس قائلاً «هذه الدولة قدر يا فارس، ونقيضها قدر ذلك، فإظفر منها في الحالتين بما يجعلك عالي الشأن».

وتقدم الرواية كذلك وصفاً للطبيعة المؤابية وطريقة الحياة البسيطة آنذاك، وراء الصور تهج الأغنام في زرائبها.

وبالسلطة العثمانية، ويتطلعات أهلها وطموحاتهم التي عبرت عن وعيهم بالمرحلة وتطورات أحداثها الحاسمة.

شخصيات وأحوال

تتعدد شخصيات الرواية الرئيسية والثانوية، وتتباين طبائعها لتقدم رؤاها ومواقفها باختلاف مساراتها بين ثائرين على السلطة العثمانية وأصحاب مبدأ لا يحيدون عنه مثل عدنان المؤابي، وباحثين عن أمجاد شخصية مثل سلامة بن كريم، الذي يصبح لاحقاً سلامة بيك، وآخرين موالين لتلك السلطة التي أغدقت عليهم الأوسمة والألقاب والأعطيات، ومنحتهم السلطة لتسيير شؤون نواحيهم وفقاً للعادات والتقاليد المعمول بها مثل ابن عويد.

تعبّر الرواية عن تبدلات وتطورات في تلك الرؤى نتيجة تراكمات الأحداث، فبطل الرواية عدنان المؤابي والعقل المخطط

أكثر من أي وقت مضى صارت الرواية التاريخية تجذب الأقلام العربية، مغرية إياها بعوالم ثرية من الحكايات والقصص والشخصيات والأماكن والأحداث، وهو ما اندفع إليه الكثير من الكتاب، ليقدّموا أعمالاً روائية ليس رهانها الالتزام بالتاريخ كما هو، بقدر ما يهدفون إلى استنطاقه من خلال الخيال وإسقاطه على الحاضر لفهمه بطريقة أفضل، كما فعل الروائي الأردني سامر حيدر المجالي.

من المدن والبقاع في الجغرافيا الأوسع. وتتشابك الأحداث في دمشق، حيث يبرز الصراع بين حكم الاتحاديين الأتراك والحركة العربية الناشئة، وما واجهه من عسف وتكبل، وتدخلات من الدول العظمى، خاصة فرنسا وبريطانيا اللتين أرادتتا تحقيق مكاسب انتهت بتقسيم سوريا الكبرى، وبمعركة ميسلون التي صورتها الرواية في مشهدها الأخير، وهي المعركة التي خاضها العرب بقيادة يوسف

العظمة ضد الجيش الفرنسي، واستشهد فيها «أنيس»، إحدى الشخصيات النائرة في الرواية، مع باقي الثوار، وكان قد شهد قبل ذلك الحياة المقيتة في أحلك الظروف وأدقها. ومن الجلي أن موت «أنيس» يمثل «موت حلم الشباب العربي التواق إلى وطن مستقل ومدفع للمستقبل».

كما كتب الروائي مجدي عديس صاحب رواية «الوزر المالح» حيث «كان الحلم قريباً جداً، وفجأة تحجر وانتهت الدولة الفيصلية، وهذا ما سبب حالة من اليأس والحيرة وخيبة الأمل. هؤلاء الذين وقفوا في ميسلون ملكوا حالة من الحلم والكرامة والتاريخ، في حين تلاشى الذين انتهت حناجرهم بالخطب والوطنية والفرقة السياسية».

كما يبرز في الرواية التنازع الفكري والسلطوي بين أقطاب متناحرة: أنصار السلطان المخلوع، والاتحاديين والانتقاليين والقوميين العرب، بينما «يلحم الناس البسطاء بتأمين عشاء الليلة القادمة لأطفالهم».

وتحفل رواية «المؤابي» بالوقائع التي تجسد البيئة المؤابية بملامحها العشائرية، وعلاقتها بالمحيط العربي

عواد علي
كاتب عراقي

«مؤاب» اسم تاريخي لمملكة في الأردن قبل الميلاد يرجعه بعض المؤرخين إلى الجذر «ماب»، أي مكان غروب الشمس، في حين يرجح آخرون أنه كان اسماً لقبيلة سكنت المنطقة وأسست تلك المملكة، على محافظة الكرك الحالية على الساحل الشرقي للبحر الميت.

من أبرز ملوكها «ميشع»، الذي خلدهت مسلة تُعد أهم وثيقة مؤابية مكتوبة تحتوي على معلومات عن تاريخ المؤابيين ومعتقداتهم الدينية وجغرافيتهم ومنجزاتهم العمرانية وفكرهم وانتصارهم على أعدائهم.

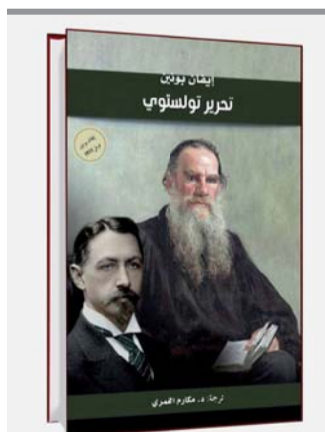
ويحمل الآن أحد أقضية الكرك اسم «مؤاب»، ومنه استمد الكاتب الأردني سامر حيدر المجالي اسم روايته الأولى «المؤابي»، الصادرة حديثاً عن دار «الآن ناشرون وموزعون» في عمان.

التاريخ المتخيل

تندرج رواية «المؤابي» ضمن روايات التخيل التاريخي، أي التي تشكل المادة التاريخية بواسطة السرد بعد قطع تلك المادة عن وظيفتها التوثيقية والوصفية لتؤدي وظيفة جمالية ورمزية.

وتتخذ الرواية مدينة الكرك مركزاً تنطلق منه الأحداث خلال السنوات الممتدة من 1900 إلى 1920 (السنة التي قامت فيها الثورة العربية الكبرى ضد الاحتلال العثماني للمشرق العربي)، لتصل إلى دمشق وإسطنبول وغيرها

إيفان بونين يحرق تولستوي من الصورة النمطية



الكتاب يجمع بين عناصر الدراسة البيوغرافية وأدب المذكرات والدراسة النقدية والعمل الأدبي في نص مختلف

وتتعرف -من خلال رواية بونين والأخريين عن تولستوي- على ملامح من شخصية تولستوي، كما تكشف أمام القارئ صفحات من سيرة تولستوي الذاتية بوصفه الأديب المبدع، والمفكر الذي أرقه بشدة التفكير في مغزى الحياة والموت، والوجود الإنساني. فقد كان لتولستوي العديد من المواقف الجريئة مثل التخلي عن ثروته ومعارضة الكنيسة. وقد تحول في المرحلة الأخيرة من حياته ليغدو أشبه بزعيم أخلاقي وديني.

أبوظبي - أصدر مشروع «كلمة» للترجمة في دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي ترجمة كتاب «تحرير تولستوي» لمؤلفه إيفان بونين، ونقلته إلى اللغة العربية الدكتور مكارم الغمري.

وعد كتاب «تحرير تولستوي» من المصادر المهمة التي تناولت السيرة الذاتية والفكرية للأديب والمفكر الروسي ليو تولستوي. يجمع الكتاب بين عناصر الدراسة البيوغرافية، وأدب المذكرات، والدراسة النقدية، والعمل الأدبي، من خلال بناء نص غير تقليدي، فأحياناً يتقاطع صوت بونين المؤلف مع صوت تولستوي نفسه، فجد الكاتب متقفاً لشخصية تولستوي يذهب بنا إلى أعماقها وإلى ما نجعله عنها، من تفاصيل حياته وأفكاره وهواجسه ورؤاه.

وليو تولستوي (1826 - 1910) أحد أشهر كتاب الأدب الروسي والعالم ويعد من أكثر الأدباء انتشاراً من حيث حجم ترجمات أعماله وتأثيرها في الأدباء في روسيا وخارجها. وحظيت مؤلفاته وأفكاره باهتمام كبير في الشرق العربي، فقد ترجمت مؤلفاته إلى العربية، وظهرت لها أكثر من ترجمة، وكان لها تأثير في العديد من الأدباء العرب.

وجدير بالإشارة أن تولستوي ألع بالأدب العربي، واهتم بالتراث الروحي الإسلامي، وتأثر بهما. ويضمّن بونين كتابه «تحرير تولستوي» بعض الاقتباسات من روايات تولستوي، ومن الكتابات الدينية الداعمة لأفكار النص.

جمع التجارب وأنضح مناخات المهنية وقوى من عود أساليب وأشكال وصنع وممارسات، بل ونهب بمخرجين وكتاب وفرق المسارح ومسارات شهد لها المتلقي بالجدّة والحرفيّة وصدمة الإندهاش». حمل الكتاب ملحماً خاصاً بالصور التي تسجل لبعض العروض والفعاليات، حيث أسهمت مديرية المسارح والموسيقى بتقديم أرشيف الصور، إضافة إلى مساهمة من المسرحيين العرب، ليكون هذا الكتاب نقطة فاصلة للحيلولة دون اندثار هذه الذاكرة الهامة.

الكتاب حمل بين دفتيه وقائع غنية من مهرجان دمشق للفنون المسرحية، قديم المهرجانات العربية، ومشعل شرارتها

من جهته أعرب إسماعيل عبدالله، الأمين العام للهيئة العربية للمسرح، عن سعادته بتحقيق هذا الإنجاز بقوله «إننا في الهيئة العربية للمسرح نسعى إلى إضاءة الأركان المعتمة من مسارحنا العربية، ونعمل ما استطعنا بالتعاون مع كل المسرحيين لحفظ الذاكرة لتكون المنجزات على محك التقويم والاستئناف، فكيف نبني حاضراً منبثاً عن قراءة الماضي، وكيف للمستقبل أن لا يولد من رحم الحاضر؟ هذه الخزانة هديتنا لمهرجان لعب دوراً هاماً في تكوين وعينا المسرحي على امتداد الوطن العربي».

«مهرجان دمشق للفنون المسرحية» في خزانة ذاكرة المسرح بالشارقة

من نفس العام بمبادرة من نقابة الفنانين وبالتعاون مع وزارة الثقافة. وسعى المهرجان إلى بلورة فن مسرحي عربي يخاطب الجماهير العربية ويعكس اهتماماتها وتطلعاتها، كما حاول إيجاد فن مسرحي عربي يفرس جذوره في أعماق التاريخ الحضاري للأمة العربية، إضافة إلى خلق فن مسرحي عربي إنساني النزعة.

واستمرت دورات المهرجان حتى عام 1988 (الدورة الحادية عشرة) حيث توقف بعدها، وهناك محاولة جديّة الآن لبث الروح مجدداً كونه شكل معلماً ثقافياً وفنياً مهماً في سوريا طوال عشرين عاماً. ويقول الدكتور يوسف عايدابي المسرحي والمفكر السوداني في مقدمته لهذا الكتاب «كيف يمكن أن يرتب أهل المسرح لقاء جامع يتبادل فيه الجميع الأفكار حول توظيف المسرح بشكل عضوي يحفز الواقع والطليعة إلى النهوض السوي القادر على ترميم الأنفس والمواقف، بل والدعوة إلى التلاحم والإصطفاف مجدداً في جبهة عودة الوعي والثقة بالذات والاندفاع والتقدم بدل الانكفاء و«جلد الذات»».

ويشير عايدابي إلى أن مهرجان دمشق للفنون المسرحية في دورته الأولى عام 1969، أحدث الزلزلة المنشودة بعودة الوعي إلى المسرح العربي، بل وعودة الروح التي يحتاجها الواقع العربي التواق إلى صياغة وجود مغاير مختلف وذهاب إلى صناعة حياته الجديدة.

ومضى قائلاً «ليس من رأى كمن سمع، كانت لقاءات دمشق المسرحية بلسما وشفاء يتجدد كل سنة على نحو

والى جانب برنامج العروض والندوات، وثق الكتاب مجرييات الندوات الفكرية بشكل خاص؛ لذا فهو يعمر بكلمات وأصوات ومواقف فكرية لأسماء لعبت دوراً مهماً في حياتنا الثقافية العربية. ويوفر الإصدار فرصة إنعاش الذاكرة المسرحية العربية ومعرفة المهتمين والباحثين والدارسين، كما يحفظ ويصون منجز مهرجان هام كمهرجان دمشق.

ونشأ مهرجان دمشق للفنون المسرحية استجابة لتوصيات مؤتمر المسرحيين العرب المقام في القاهرة في مارس 1969، وأقيمت الدورة الأولى للمهرجان في مايو

والشارقة - صدر حديثاً عن الهيئة العربية للمسرح، ضمن مشروعها التوثيقي خزانة ذاكرة المسرح العربي، إصدار جديد هو «خزانة ذاكرة مهرجان دمشق للفنون المسرحية 1969 - 2010»، الذي قام بإعداده وتجميع مادته الباحث السوري عبدالناصر حسو.

المجلد الذي جاء في 490 صفحة من القطع الكبير، حمل بين دفتيه وقائع غنية من مهرجان دمشق للفنون المسرحية، قديم المهرجانات العربية، ومشعل شرارتها، المهرجان الذي شكل منذ انطلاقه وعلى مدى دوراته لخصاً للمسرحيين والمفكرين العرب.

محاولة لاستعادة ذاكرة مسرحية

محاولة لاستعادة ذاكرة مسرحية

